

البحث (٥)

سلوك المتقين وأصول مقامات اليقين

أ. د. / فوزي عبد العظيم رسلان

رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل من أوليائه علامة هداية للمهتدين ،
وأظهر وجودهم بين الخلق فألبسهم لباس المطيعين المتقين ،
وأبسط حواسهم بنور هدايته فعلموا علم اليقين ، وشرح صدورهم
بمعرفة فكانوا من عين اليقين مقربين ، وأشهد أن لا إله إلا الله
الأزلي الأبدى المنزه عن صفات الخلق والتكوين ، وأشهد أن
سيدنا محمدا عبده ورسوله القائل : " لو تعلمون ما أعلم لبكىتم
كثيرا ولضحكتكم فلبلا ولخرجتم إلي الصعدات تجارون إلي الله
تعالى لا تدرون تنجون أو لا تنجون " (١) . اللهم صل وسلم
وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هديه
وسار على نهجه ، والتزم مسيله إلي يوم الدين .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٢) . ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَبْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (٣) .

وبعد ...

فقد قال الحكماء مرة : أول ما يلزم الإنسان معرفته نفسه ،
وقالوا مرة : أول ما يلزمه معرفة الله - تعالى - والناظر في

١ - رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي
شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (الْجَامِعُ الصَّغِيرُ - الْمُبَوَّطِيُّ ٢ / ١٣٠
وَصَحِّحَهُ)

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ الْآيَةُ : ٨ .

٣ - سُورَةُ الْكَهْفِ مِنْ الْآيَةِ : ١٠ .

هذين القولين يري عدم المنافاة بينهما ، ذلك أنهم عتوا بالأول حيث قالوا : معرفة النفس الأول من حيث الترتيب الإيجابي - أي الصناعي - وعتوا بالأول أيضاً حيث قالوا : معرفة الله الأول من حيث الشرف والفضل ، وذلك لأن معرفة الله - تعالى - هي أفضل المعارف وأشرفها ولا خلاف في ذلك . وفي معرفة النفس لطلاع على حقائق كثيرة من أهمها :

أولاً : أن الله - عز وجل - خاطب الإنسان من خلال نفسه فهم ذلك عن ربهم المتقون من المؤمنين ، ومن عرفها عرف غيرها ، ومن جهلها جهل كل ما عداها .

ثانياً : أن من عرف نفسه صار في حكم المشاهد لله - تعالى - وهو يخلق السموات والأرض وما بينهما ، من باب ﴿ أعبد الله كأنك تراه ﴾ ^(١) . ولم يكن كالكفرة الجهلة الذين غابوا عن هذه المنزلة السامية وردوها - فكانوا من جملة المضلين الذين قال الله فيهم : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولما خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ ^(٢) .

ثالثاً : أن النفس الإنسانية مجمع الموجودات ، ومن عرفها فقد عرف الموجودات ولذلك قال الله - تعالى - : ﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق

١ - جزء من حديث قواعد الإسلام رواد مسلم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه .

٢ - سورة الكهف الآية : ٥١ .

وَأَجَلَ مُنْقَضٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿١١﴾
وفي الآية إشارة جلية على أنهم لو تدبروا أنفسهم وعرفوها
عرفوا حقائق الموجودات ، فانيها وباقيةا ، وأوقفهم الله - تعالى
- على حقيقة خلق السماوات والأرضين ولما أنكروا البعث الذي
هو لقاء ربهم ، قال تعالى : ﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي
أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (١٢) ، وقال سبحانه : ﴿ وَفِي
الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١٣)

وقال جل شأنه : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ
كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَّعِيدُهُ وَعِذًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١٤)

رابعاً : أن في معرفة النفس بعرف الإنسان ما فيه من فناء
وبعرف ما فيه من بقاء . فيقف على حصة الثنائيات ، وشرف
الباقيات الصالحات . فالجسد الذي يمثل العالم المادي الفاني ، أما
الروح فإنه يمثل عالم البقاء والإنسان في جوهره العالي روح
وإن تمثل في جسد مادي ، قال تعالى مخاطباً ملائكته في آدم -
عليه السلام - ومعلناً له ، لما فيه من عالم البقاء : ﴿ وَإِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ *
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (١٥)

١ - سورة التَّوْبَةِ الآية ٨ .

٢ - سورة فصلت من الآية : ٥٣ .

٣ - سورة الذَّارِيَاتِ الْآيَاتِ : ٢٠ ، ٢١ .

٤ - سورة الْأَنْبِيَاءِ الآية : ١٠٤ .

٥ - سورة الْحَجَرِ الْآيَاتِ : ٢٨ ، ٢٩ .

ومن ثم جاء هذا النداء الإلهي - للناس جميعاً - بتقوي الله - تعالى - فقال جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) . بذلك الأمر الإلهي سلك الإنسان سبيل التزكية للنفس ، ليخرج من دائرتها المادية المحصورة في حب الشهوات ، إلى كمالها الروحي المعروف بعالم البقاء ، قال تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حِصْنُ الْمَوْتِ ﴾ . قل أوتيتكم بخير من ذلكم للذين اتَّقُوا عند ربهم جعلت تجزي من تحتها الأنهار خالدون فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إنا آثمنا فأغفر لنا ذنوبنا وقلنا عذاب النار ﴾ (٢) . وقال جل شأنه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَنهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ نَسَاهَا ﴾ (٣) ، وقال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرَ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٤) . من ثم يقف الإنسان على حقيقة عالم الفناء وعالم البقاء .

١ - سورة النساء الآية : ١ .

٢ - سورة آل عمران الآية : ١٤ ، ١٦ .

٣ - سورة الشمس الآيات : ٧ - ١٠ .

٤ - سورة الأعلى الآيات : ١٢ - ١٩ .

خامساً : أن من عرف نفسه عرف شرها ، ومن عرف شرها عرف أعداءه من خلالها فأعد العدة بالتوجه إلى الله - تعالى - ، وقد نبه الرسول الكريم ﷺ إلى ذلك ، حيث امرنا أن نقول إذا أصبحنا ، وإذا أمسينا ، وإذا اضطجعنا على فراشنا أن نقول : " اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت رب كل شيء ، والملائكة يشهدون أنك لا إله إلا أنت ، فإنا نعوذ بك من شر أنفسنا ، ومن شر الشيطان الرجيم وشركه ، وأن نقترف على أنفسنا سوءاً لو نجره إلى مسلم " (١) . كما كان ﷺ يقول : " اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، وعلم لا ينفذ ، ودعاء لا يستجاب ، ونفس لا تشبع ، ومن الجوع فيفسد للصحيح ، ومن أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر ، ومن فتنة الدجال ، وعذاب القبر " (٢) . فلذا عرف الإنسان أعداءه الكاملة في نفسه من اتباع الهوى كما قال الله - تعالى - ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ حُضَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ (٣) . وكذلك الشيطان كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ

١ - رواه أبو داود والطبراني في الكبير عن أبي مالك الأشعري (جامع الأحاديث - مسيوطي ١٠٤ / ٢) .

٢ - رواه أبو يعلى في مسنده عن ابن مسعود - رضي الله عنه - (جامع الأحاديث - المسيوطي ١٠٩ / ٢) .

٣ - سورة لقمان الآية ٢٣ ، ٢٤ .

الصغير) (١) أمكنه مجاهدتها ، فيستحق ما وعد الله به المجاهدين في سبيله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) . وقال جل شأنه : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

سادساً : أن من عرف نفسه لم يجد عيباً في أحد إلا رآه موجوداً في ذاته ، إما ظاهراً أو كامناً فيه ، ومن ثم لا يكون همزاً ، ولا لماذا ، ولا عيباً ، ومن كانت هذه سمته بعد عن التسويف ، والمخادعة ، والإعجاب ، وعلم كيف يسوس نفسه ، ومن ساس نفسه أمكنه أن يسوس الناس ، وكان علي بصيرة من أمره ويقين ، هذه المعرفة تنافس فيها المتنافسون ، ولها شعر العاملون المجدون ، ومنها تفاضل الهاوون ، فعن النضر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ) : " طوبى لمن شغله عيبة عن عيوب الناس ، وانفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم يعد عنها إلى البدعة " (٤) .

سابعاً : أن من عرف نفسه عرف الله تعالى ، ووصل من طريقها إلى علم اليقين الذي لا شبهة معه ، وهذا واضح من قول

١ - سورة فاطر الآية : ٦ .

٢ - سورة العنكبوت الآية : ٦٩ .

٣ - سورة الأنفال الآية : ٥٣ .

٤ - رواه الديلمي في مسند الفردوس (الجامع الصغير - السيوطي / ٢

الله تعالى : ﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

فبمعرفة النفس يتوصل إلى معرفة الله - تعالى - وبيان ذلك نقول : " اعرف العروض تعرف الشعر " أى بمعرفة العروض يتوصل إلى معرفة الشعر ، وإن كان بينهما وسائط فإذا حصل معرفة النفس حصل بحصولها معرفة الله - تعالى - فلا فاصل كقولك : " بطلوع القمر يحصل النور " فيكون النور مقترناً بطلوع القمر غير متأخر عنه بزمان ، وإذا عرفت الله - تعالى - أبقيت أنه غير مُحَدَّث لحدوث النفس ، وذلك هو الغاية والشرف والفضل .. حينئذ ينطلق الإنسان لإدراك حقيقة العبودية ، لا لإدراك حقيقة الربوبية ، فلقد سئل عليه السلام عن الإحسان فقال : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تراه فإنه يراك " (٢) ، وفي مقابل هذه الغاية والشرف يكون الإعراض والنسيان ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ قال رب لم حشرتني أعشى وقد كنت بصيراً يقال كذلك آياتنا فنسيها وكذلك اليوم تنسى (٣)

ويقول سبحانه : ﴿ تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) . تنسيها على أنهم لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله -

١ - سورة فصلت من الآية : ٥٣ .

٢ - جزء من حديث قواعد الإسلام ، رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - .

٣ - سورة طه الآيات : ١٢٤ - ١٢٦ .

٤ - سورة الحشر من الآية : ١٩ .

تعالى - فلما جهلوه ، دل جهلهم إياه على جهلهم إياها ، وهذا هو عين الغماء ... ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (١) .

والمعتقون من المؤمنين هم الذين رفعوا أنفسهم من أسفل سافلين إلى أعلى عليين بعد أن عرفوا أنفسهم ، فعرفوا الله - عز وجل - ووقفوا عند حدّهم فكانوا بذلك سادة للناس كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾ (٢) . فسلكوا طريق العبودية مخلصين لله خفاف ، وأووا إلى ربهم بالدعاء مظهرين عجزهم وفقرهم له ، مع عدم التدخل في إجراءات ربوبيته ، أو الاعتراض عليها ، وتسليم الأمر كله لله - تعالى - وحده مع الاعتماد والاطمئنان إلى حكمته دون اتهام ولا قنوط ، ومن ثم جاء ذكرهم في أول سورة البقرة - وهي السورة الثانية بترتيب المصحف الشريف - في معرض المدح ، ومن يكون كذلك حاز السبق وكان من المفلحين ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكِتَابُ لَا يَرِيبُ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣)

فالقرآن الكريم جاء هدي للمتقين ، وقاطعاً بوجود الصانع الحكيم ، ومظهراً سلوك المتقين ، ومعلّياً مقامات أهل اليقين ،

١ - سورة الإسراء الآية : ٧٢ .

٢ - سورة الحجرات من الآية : ١٣ .

٣ - سورة البقرة الآيات : ١ - ٥ .

الدين هو باب الذكر الحكيم ، فانبقي عنهم كل ريب وشك ،
وعزم ، وهم ... وعيدوا ربهم حتى أتاهم البقر ١٠٠

بعد من الله عنهم وعمو ان المعصود من العالم هو
لأنفس ، كما يبه الله تعالى - بآيات كثيرة في مواضع مختلفة
حسب ما اقتضيه آيات الذكر الحكيم ، وعلموا أنهم مسافرون
ومب سفرهم من حيث أشار إليه قول الله تعالى ﴿ وَقُلْ
اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَبِكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى
حِينٍ ﴾ (١) ، ومنهى سفرهم دار للسلام ودار للقرار ، فكانوا في
كدح دائم م لم ينه بهم إلى دار القرار ، والتمسوا الراحة الدائمة
في النصب ، وحنال المسقة موقنين بأن كل تعب يؤسيهم إلى
راحة فهو راحة ، فسعدو حبيب اصمألوا وأيقوا ﴿ بِأَنَّهَا
النَّفْسُ الْعَظِيمَةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً * فَأَدْخُلِي فِي
عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٢) بحلاف غيرهم الذين عمروا عن
لأحرار اقالوا ﴿ مَ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا
يَهْلِك إِلَّا الدَّاهِرُ ﴾ (٣) او فعوا فعل من قال ذلك وإن لم يعرفوا
قولهم ، فصوا ان راحة من حبيب لأ راحة ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ
كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
وَوَجَدَ لِلَّهِ غَدَّاهُ هَوًّا حَسَبَهُ ﴾ (٤) إنهم طلوه من الدين م
ليس في طبيعتها ولا موجودا فيها ..

١ - سورة البقرة من الآية ٣٦

٢ - سورة قهجر الآيات ٢٧ - ٣

٣ - سورة الجاثية من الآية ٢٤

سورة النور الآية ٣٩

والموفق من الله تعالى - من اراد أن يفسد نفسه فاصرفه عن الجمع بين الدنيا والآخرة ، انصرف عن الفانية منبأقيه ، وأقل العبيد بما بقي ، وأثر الآخرة على الدنيا ، فلا يلتفت إلى الدنيا ، لا بقدر ما ينال به إلى الآخرة ، مراعي فيه حكم الشرع ومحافظا لعمد الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمْ الدُّنْيَا وَلَا يَعْرِتْكُمْ الدُّنْيَا ﴾ ١ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ لَعَلَّ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ ٢ وصورة ذلك والوصول إليه لا يمكن إلا أن يستصحب العقل بسور الشرع معتمداً على من له الحق والأمر ، وسلك طريق المنطق ، وارتقى من معاصم أهل اليقين ، فعاد برصبي رب العالمين

وفي هذا البحث أريد من خلاله أن أبين اتجاه من هذا السلوك المرتضي لهؤلاء الصغرة المصغين ، وكيفيه ترفيقهم بعد أن عرفوا أنفسهم فعملوا وجاهروا من معاصم أهل اليقين ، فكانوا كما قال الله تعالى ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ٣ إلهم عنمو ، فأتركوا ما طيبوا ، وجروا من شر ما معه هربوا ، فهم فوق المؤمن والصانع حيث معتهم الله تعالى - بقوة . ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ٤ ثم قال جن شأنه فيهم بعد ذلك مباشرة :

١ - سورة طه الآية : ٥

٢ - سورة الشورى الآية : ٢٠

٣ - سورة البقرة الآية : ٥

٤ - سورة البقرة الآية : ١٧٧

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ وَمَا أُنزِلَ مِنْ فَتْكِهِ وَلَا آخِرَةَ هُمْ
يُوقِنُونَ ﴾ ^(١) واليقين هو العلم الذي أفاد للقطع واسعى معه
الريح ، والوهم ، والشك

وأما كاتب النتائج لا تظهر ، لا بالمقدمات ، فإن النهايات لا
يصح إلا بالندبات ، ومن كاتب بدليته محرفة كانت نهايته مشرفة
قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيمَا سَعَدَتْهُمْ سَكُنُوا لِلَّهِ نِعْمَ
الْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(٢) فالمجدة من العبد بالعلم والعمل ، والهداية
موجب لله تعالى للعبد في أحواله ثم نكس له بحسب ، إنها بفصل
الله تعالى ، وكرمه ، ورحمته ، وبذلك من الله تعالى على عبده
فقال ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ^(٣)
وقد تفصل على العبد الصالح فانه رحمه من عبده ، وعلمه من
عبده علم ، فصار على يقين من أمره ، وما كان ذلك إلا من
خلال الإسلام أولاً ، والذي لا يخرج حقيقة عن قيم النفس
بوظائف الأحكام التكليفية ، ثم لإيمان ثاني ، وهو يعني قيم
العبد بوظائف الاستسلام ، أي التصديق بما أني به الرسول
الكريم ﷺ ، ثم لإحسان ثالث وهو قيم الروح بمشاهدة العلام ،
بوصف هذا جاء عن الرسول ﷺ في بيانه معنى الإحسان
حين قال " أن يعبد الله كأنك تراه " وهذا فوق الوصف

١ سورة البقرة - الآية ٤

٢ سورة المؤمنون - الآية ٦

٣ سورة البقرة - الآية ١٢٨

والممثل ، لا ليعرف كفته شيء ، وإنما يعنى الله بظهر الهي ، الله شاهد على ، الله معي ، كي يظهر المعنى .

وفي صوء هذا يقول أحد الموقنين رابت الحبة والدار حفيضة ، قيل له كيف ؟ قال رابت بمعنى النبي ﷺ ، ورؤيتي بها بعينه أوثق عندي من رؤيتي بهما بعيني ، فإن بصري قد يحصى بخلاف بصره ﷺ ، ومن ثم فكل ما قاله النبي ﷺ فهو حق اليقين ، ومن أوقف نفسه وآمن بذلك بال شيث ، وهذا واضح من حديث حنطلة لأسدي رضى الله عنه - وكان من كذاب الوحي قال لعيسى أبو بكر فقال كيف أنت يا حنطلة ؟ قلت ما في حنطه قال سبحانه الله ما تقول ؟ قلت يكون عند رسول الله ﷺ تذكر بالدار والجنة حتى كأن رأى عين ، فإذا خرج من عند رسول الله ﷺ عافست الأرواح ، والأولاد ، والصبيات ، هسهب كثير ، قال أبو بكر : فوانش إن لتلقي مثل هذا ، فالتفتت أب وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت ما في حنطه يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ وما ذلك ، قلت يا رسول الله يكون عندك تذكر بالدار والجنة حتى كأن رأى عين ، فإذا خرج من عندك عافست الأرواح والأولاد والصبيات ، هسهب كثير ، فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده إن لو تكونون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر ، تصاحبكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرفكم ، ولكن يا حنطه ، ساعة وساعة ثلاث مرات ^١ فمن لأم الذكر ، وداوم التفكير في أمور الآخرة ، قال من

الممكنون ، ومن سأل من الممكنين ظفر ، ومن ظفر سعد ، ومن سعد فلن يشقى أبداً ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ " اللهم جعل من الصغاه الذين ملكوا سلوك المستقيين الموقنين ، الذين لهم البشري في الحياه الدني وفي الآخرة

تعريف ومفاهيم

تعريف السلوك

جاء في المعجم الوسيط " سلوك للمكان وبه وجه - سلوك وسلوك دحل وبه - الشيء في الشيء ، وبه - دخله و - فلان المكان ؛ أدخله إياه .

(والسلوك) سيره للإنسان ومذهبه واتجاهه ، يقال فلان حسن السلوك أو سيئ السلوك .

و - (في علم النفس) : الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي إزاء أي موقف يواجهه .

(المسلك) الطريق ومنه مسالك المياه (ح) مسالك ويقال : خذ في مسلك الحق * (٢) .

وجاء في كتاب اصطلاحات القوم :

« (الملوك) بضم السين عند السالكين عبارة عن مهذب الأخلاق ليسعد نوصول ، أي السنوك أن يظهر العبد نفسه عن الأخلاق الذميمة مثل حب الدنيا ، والجاه ، ومثل الحقد ، والحسد ، والكبر ، والبخل ، والعجب ، والكذب ، والعيه ، والحرص ، والضم ، وخوف من المعاصي ، ويصف بالأخلاق الحميدة مثل العلم ، والضم ، والحيه ، والرحم ، والعدالة وخوف »

والسنوك عند الصوفية " بسموه السمي لأن السالك يسير في طريق الله حتى يبلغ للمعصود " (٢) .

وهم يتكلمون عن السنوك ، يعرفون بينه وبين الحبة والعروج .

« فالحبة بسموها القدة ، لأن حبة من جذبات الله تلوذي عمل القليلين .

والعروج ، بسموه العطاء ، لأن الحق سبحانه إذا وهب عبدا جذبه ، فأتجه بقلبه إلى الله ، وتجرد عن جميع العلائق دونه واحدة ووصل إلى مرتبة العشق فإنه يسمى مجبوبا ، إذ يعني في هذه المرتبة ، وإذا رجع إلى رتبة واقع على حقيقة نفسه . وسلك الطريق بسموه المجدوب السالك ، وإذا سلك الطريق الأول

١ - كتاب اصطلاحات القوم - لتهانوي ٤ / ٢٩ .

٢ - المصدر السابق ٤ / ٣٠ .

وإنه ، ثم وصية جيبه الحق ، يسموه السالك المجتوب ، وإذا
سلك الطريق ولم يصبه حسبه الحق يسموه السالك

فمجموع الحالات أربعة أقسام مجتوب ، ومجتوب سالك
وسالك مجتوب ، وسالك .

وكل من السالك المجرد ، والمجتوب المجرد ، لا يصلح
أن يكون شيخ وإمام وكل من المجتوب السالك ، والسالك
المجتوب ، يصلح أن يكون شيخاً وإماماً ، ولكن المجتوب
للسالك الفصل (١) .

فالسالك هو الذي يمارس السلوك سائراً نحو الكمال وهو
بما أن يكون سائراً أو واقفاً ، أو راجعاً

" جاء في مجمع السوكن في بيان معنى السوكن ، من السير
بوتان سير إلى الله ، والسير في الله والسير إلى الله به بهبه
والسالك بهبه أو يسير حتى يعرف الله ، فإذا عرف الله انتهى
السير ، وبخسر في الاسماء السير هو أنه ، لا يكون السير إلى
الله غايه وبهبه ، والسير في الله بأنه استواء

والسير في الله هو السير بهبه معنى أو السالك بهبه

به معرفة الله بهبه أو بهبه في السير بهبه في به

الطريق لأن تعود حمالة وجلالة غير منتهية ، فيبقى من
بعضها إلى بعض ، وهذا أول مربي حق اليقين " .

أما المواقف " فهو الذي تصيبه وفقه ، كأن يعجز عن
الطاعة ، ولا يدير بالثوبه والإياه فإنه يستطعم " يسير
في الطريق مره أخرى ، وإذا ظل في مكانه والعباد ، الله يتضح
جاء " (٢)

والتعذر في السلوك على مبيحة ألسان :

لأعراض ، والحجاب ، والبصير وسد المرید
وسبب القديم ، والنسلي ، والعداوة فمثلاً إذا أتى عائق
حركته غير مستحبه ، تعرض عنه المعشوق ، فإذا لم ينجب وأصر
على حبسه فذلك الحجاب ، وإذا تنازل فذلك حجاب البصير ، أي
أن بعض المعشوق عنه ، فإذا لم ينجب في المرحلة ، فذلك سبب
المرید أي بسبب البصير الذي كان في الطاعة وسوقه ، فإذا
لم يعسر عن هذا وظل في غوايته ، فذلك سبب القديم ، أي
بسبب البصير ألبص الطاعة التي كانت له في المرید ، فإذا لم يعتذر
أبص وظل في غوايته ، فذلك التسلط ، أي يستعز القلب عن
فراق المعشوق ، فإذا لم يعتذر ، رغم هذا ، فذلك العداوة تعود
بذلك منها " (٣)

١ - المصدر السابق - نفس الصفحة -

٢ - المصدر السابق : ٣٠ /

٣ - المصدر السابق - نفس الصفحة -

أما م ذكره صاحب المفردات في غريب القرآن فقد قال

‘ السلوك ، البعد في الطريق ، يقال مسكت الطريق ،
وسكنت كد في طريقه قال تعالى ﴿ لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا سَبِيلًا
فَجَادًا ﴾ ، قال ﴿ فَاَسْلُكُنَّ سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا ﴾ ^١ وقال
﴿ وَسَلِّكُمْ فِيهَا سَبِيلًا ﴾ ^٢ وقال ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾
وقال ﴿ كَذَلِكَ نَسْأَلُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ^٣

وقال صاحب لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام

" السلوك في اصطلاح الطائفة عبارة عن الترقى في
مفاتيح القرب إلى حضرات الرب فعلا وحالا ، وسلك بأن يتحد
باطن الإنسان وظاهره فيم هو بصدد ، مع يتكلفه من فنون
المجاهدات ، وما يقاسيه من مشق المكابدات ، بحيث لا يجد في
نفسه حرجاً من ذلك .

والذي هذه المعنى أشار سيدي عمر بقوله .

ضعفني كانت قبل نواحه مني

أطعها عصت أوبعصني كانت مطيعتي

١ - سورة نوح الآية ٢٠

٢ - سورة النحل من الآية . ٦٩ .

٣ - سورة طه من الآية ٥٣

٤ - سورة المنثر الآية : ٤٢

٥ - سورة الحجر الآية ٦٢ لظن المفردات في غريب القرآن -

الراغب الأصفهاني - ملأه ' سلك ' / ٢٣٩ .

سنة مني وبين حسنت عنها ثلاث (١)

من هذا لقول :

أن السلوك هي النعمة البهية والدخول ، والسالك من يميز في الطريق .

وفي اصطلاح الدعوة إلى الله - تعالى الاستجابة الكلية لأوامر الله - تعالى ، طهر ، وباطل ، متقرباً من خلال كنهه ، وسه نبيه ﷺ ، محرراً من أثر العير ، ليكون أهلاً لمعطاء والمسح للإلهية ، فهدو إلى الله على بصيرة .

ودليلاً في ذلك ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢) .

إنه ﷺ لأسوة الحسنة لمن سلك طريق الحق ، وأراد أن يعرف المجاوز والمهالك ، فيرشد المدعو ، ويشير إليه بما ينفعه وما يصرفه ويحذر الدين والشريحة في قلوب المدعوين والضالين ، بعد أن علم بأفان النفوس ، وأمرصها ، وطريق علاجها .

١ - سئل الإعلام في شارات أهل الإلهام - عبد الوراق القاشاني ٢٦/٢

٢ - سورة الاحزاب الآية ٢١

وطريقه في ذلك السطو بخلق النبي (ﷺ) ، مع ملازمه الطاعة بحبيب لا يرجع عنها ، ولا ينف ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله (ﷺ) " إن الله - عز وجل - قال عن عبادي بي ، نب فقد ادسه بالحرب ، وما تقرب الي عدي بشيء أحب إلي مما افترصت عليه ، وما يرال عدي يتقرب الي بالوافل حتى أحببه ، فإذ أحببته كتب سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، وإن أسألك عن نفسي أعبدني ، وما يرسل عن شيء أك فعله ترددي عن نفسي عدي للمؤمن يكره للموت ، وأب أكره مسأله " (١) .

فالسوء سير وملازمة وبواصل دائم ، وتغالي في الطاعة بلوصول إلى مقدم المحبة (وما يرال عدي يتقرب إلي بالوافل حتى حبه) ، ولولا السوء ما تحقق المطوب ، وتحقيق المطوب يحتاج لهمه عالية ، واستمرارية في السير ، وقوة لا يعرف الكل ولا العن ، مراعي في كل حال بانيه أنفاسه وأوقاه ، كي لا تصيب سدي .

تعريف الحقوي

جاء في سماں العرب " (وقى) وقاه الله وقى ووجهه وواقية ، صافه ، ووجهه صافه ، ووجهه ما يكره ، ووجهه حماه منه وفي التثريب العريض : « فوقاهم الله شر ذلك اليوم » (٢)

١ - صحيح البخاري ٨ / ١٠٥ باب للتواضع

٢ - سورة الإنشال من الآية ١١٠

ويقال : ' وقالك الله شر فلان وقاية . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ ^(١) . أي من دافع . ووقاه الله وقاية بالكسر ، أي حفظه . والتوقية ، الكلاءة والحفظ .

وتوقى والتقى بمعنى . ولتقيت الشيء : حذرته .

والاسم التقوي التاء بدل من الواو ، والواو بدل من الياء ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ ^(٢) . أي جزاء تقواهم ، وقيل : معناه ألهمهم تقواهم . وقوله تعالى : ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ ^(٣) . أي هو أهل أن ينقي عقابه ، وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ ^(٤) . معناه أثبت على تقوي الله ودم عليه . والتقى : المتقى . وقالوا : ما أتقاه الله . وقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ ^(٥) . تأويله إني أعوذ بالله ، فإن كنت تقياً فستعظ بتعودي بالله منك ، وقد تقي تقياً ^(٦) .

وفي المعجم الوسيط : (توقاه) : حذره وتجنبه (التقاه) : الخشية والخوف . (ج) تقى .

١ - سورة طه من الآية : ٣٤ .

٢ - سورة محمد من الآية : ١٧ .

٣ - سورة الممتحنة من الآية : ٥٦ .

٤ - سورة الأحزاب من الآية : ١ .

٥ - سورة مريم الآية : ١٨ .

٦ - لسان العرب - ابن منظور - مادة (وقى) ٦ / ٤٩٠٦ ، ٤٩٠٢ .

وتقوى الله : خشيته وامتنال أوامره . واجتناب نواهيه
(والتقية) - عند بعض الفرق الإسلامية - : إخفاء الحق
ومصانعة الناس في غير دولتهم تحرزاً من التلف . و (التقي) :
من بقى الله . (ج) اتقىء " (١) .

وفي المفردات : " الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره
يقال : وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء ، قال تعالى : ﴿ وَوَقَاهُمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٢) . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا ﴾ (٣) .

والتقوى : جعل النفس في وقاية مما يخاف ، هذا تحقيقه ،
ثم يسمى الخوف تارة تقوى ، والتقوى خوفاً حسب تسمية
مقتضى الشيء بمقتضيه ، والمقتضى بمقتضاه ، وصار التقوى
في تعاريف الشرع : حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بترك
المحظور ويتم ذلك بترك بعض المباحات ، لما روي عن النعمان
بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : " الحلال بين والحرام بين ،
وبينهما أمور مشتبها لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى
الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات وقع
في الحرام ، كراخ برعي حول الحمي ، يشك أن يواقع ، ألا
وإن لكل ملك حمي إلا وإن حمي الله تعالى في أرضه محارمه
، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا

١ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - مادة (وقى) ٢ / ١٠٩٥ .

٢ - سورة الدخان من الآية : ٥٦ .

٣ - سورة التحريم من الآية : ٦ .

فسدت فسد للجسد كله ، ألا وهي القلب ^(١) ، قال تعالى : ﴿ فَعَن
 اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَسِيقَ
 الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ ^(٣) . ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا
 تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٤) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ
 زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٥) . ﴿ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ^(٦) . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٧) .
 ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ^(٨) .

من هنا نعلم :

أن التتقوى مقام شريف عن سلوك رضى . ومنزلة رفيعة
 من منازل القرب ، وكرامة وقرب من المطامع الأعلى . وصمة
 المرضي عنهم من الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ

١ - رواه البخاري ، مسلم وغيرهما (الجامع الصغير - السيوطي / ١
 ١٥٣ وصمحه) .

٢ - سورة الأعراف من الآية : ٣٥ .

٣ - سورة الزمر من الآية : ٧٢ .

٤ - سورة البقرة من الآية : ٢٨١ .

٥ - سورة الحج من الآية : ١ .

٦ - سورة النور من الآية : ٥٢ .

٧ - سورة آل عمران من الآية : ١٠٢ .

٨ - سورة النساء من الآية : ١ (انظر المفردات في غريب القرآن -

الأصفهاني / ٥٢٩ ، ٥٣٠ مادة وفي) .

اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ ^(٢) . حديث الهيثم بن ميمون عن بعض أصحابه ، فيه بلال " ^(٣) ، وسلمان - الفارسي - وصهيب - الرومي - ومعاذ بن جبل ، كانوا جلوساً في المسجد ، فجاء عبيدة بن حصن يجر رداءه ، فقال : من هؤلاء السقاط ؟ فقال إليه معاذ فليبه " ^(٤) . وانطلق به إلى رسول الله (ﷺ) فأخبره بالخبر فتمعر ^(٥) وجهه ، وأمر فنودي إلى الصلاة الجامعة ، وقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد : فلا أعرف أحدكم يقول ما قال هذا الغطفاني . إلا أن الله هو الرب ، والذين هو الإسلام ، والقرآن هو الإمام ، وأدم هو السبب ، خلق من طين ، وأنا رسول الله إلي الناس كافة ، و ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ ^(٦) ^(٧) .

سورة التَّقْوَى

- ١ - سورة النحل الآية : ١٢٨ .
- ٢ - سورة الحجرات من الآية : ١٣ .
- ٣ - بلال بن رباح أبو عبد الله مؤذن الرسول (ﷺ) وخازنه على بيت صاله توفي في دمشق سنة ٢٠ هـ .
- ٤ - ليه ليبيا : إذا جمع ثيابه عند صدره ونحزه في الخصومة ثم جره .
- ٥ - تمعر لونه عند الغضب إذا تغير .
- ٦ - سورة الحجرات من الآية : ١٣ .
- ٧ - الاختصاص من القرآن الكريم لأبي منصور الثعالبي ١ / ٢١٠ ، ٢١١ .